

المسار الديمقراطي والرهان السياسي: أي ديمقراطية تتسع لجغرافية الفكر العربي الراهن؟

الناصر عبداللاوي¹

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس (تونس)

naceur.1970@hotmail.fr

إذا ما حاولنا التعمق في المسائل الفلسفية التي تطرح اليوم على طاولة النقاش، نجدتها تنطوي على مشكل مركزي يرتبط بمسألة الديمقراطية كمقاربة فلسفية تظل الخيط الناظم لكل المشاغل الفكرية التي تراود إنسانيتنا المتعطشة لأفق أكثر ترسيخا لمشاكل "النحن" التي مجوزتنا. وهي ما تسمح لنا بتجاوز الحدود الضيقة لمستقبلنا الإقليمي و النظر قدما إلى تفعيل الدور الجيو سياسي. إنّ الزخم الهائل الذي تسارعت آلياته في كل الحقول المعرفية، وهي ما تطرح علينا بإلحاح "كشف ملابس العولمي والمعني"² (الناصر عبداللاوي: 2012) في رسم جغرافية الفكر العربي وتحديد ملامحه الجديدة. وهذا ما جعل الخطاب السياسي يعود للتمظهر من جديد من خلال المشكل الأساسي الذي نراهن عليه لكي نبقي في السباق ألا وهو "مشكل المسار الديمقراطي والرهان السياسي".

إننا مدعوون لإيجاد طريقة جديدة في التعامل مع المسائل المعاصرة والقضايا السياسية الراهنة والتي بمقتضاها نتجاوز الطريقة التقليدية. إذ تظل التحولات العميقة التي تشهدها منطقتنا العربية تقتضي وجوبا إعادة بناء مصيرنا الإقليمي المشترك وخصوصا العلاقة الوطيدة بين المغرب العربي الكبير في إطار قاسم مشترك وتعاون يرفعنا لأفق يتسع لتأسيس خطاب ديمقراطي، منظورا إليها من جهة دولة قومية تفعّل الدور المتمثل في مراقبة شروط الإنتاج العامة.

¹الناصر عبداللاوي، باحث أكاديمي مختص في الفلسفة المعاصرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

²الناصر عبداللاوي الهوية والتواصلية، دار الفارابي-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2012.

إن المسألة حول الأفق الراهن للخطاب السياسي في فكرنا المعاصر يطرح جملة من الإشكاليات العالقة التي تنصب حول بحثنا المهتم بالمسار الديمقراطي في ظل أزمة الخطاب المعاصر. ولمعالجة هذه المسألة وجب علينا تفعيل جملة من براديغمات الفكر الفلسفي مثل الديمقراطية، الحرية، العدالة، القيم ومجمل هذه المعاني تكشف عن التحولات الناشئة في ثوراتنا العربية. ولعلّ هذا ما جعلنا نطرح المشكل الأساسي: أي مشروعية اليوم للديمقراطية ناشئة في ظل التجاذب السياسي؟ وما هي السبل الكفيلة بتحقيق فعل تواصلية يمنحنا شراكة تفاعلية في إقليمنا العربي؟ وأين تتحدد الرهانات الكبرى لترسيخ قيم الديمقراطية والحرية؟ وما هي مقومات الديمقراطية العربية؟ وكيف لها أن تصمد أمام غزو العولمة بكل ملامساتها وتعقيداتها، في ظل بلورة مشروع واضح يحدد خطابها من مسائل العصر ويعلن الحلول الممكنة لأزماتها؟

- مشكل الديمقراطية الناشئة في ظل الحراك الاجتماعي والسياسي

إذا ما افترضنا أن مشكل الديمقراطية أصبح بمثابة حجر الزاوية الذي يحرك مطلب الرهانات الفلسفية في علمنا العربي ضمن خطاب معين نستمد منه فاعليتنا وطموحاتنا العامة المشتركة. إننا ندرك أن الديمقراطية بوابة لكل أمة تريد أن تعلن عن وجودها في هذا الفضاء من الكون على اعتباره الأفق الذي يسعى مجموعة من الدول الإقليمية يتقاسمون بينهم قيم ثقافية مشتركة، تظلّ مفتوحة لاندماج كل المواطنين بمختلف أصولهم³ هابرماس: ما بعد الدولة الأمة (Habermas Jürgen 2000)

إنّه لحريّ بنا أن نتقصّى مسألة الديمقراطية التي تنطوي على صعوبة وتعقيدات في بلورة ملامح واضحة لإنسانيتنا التي تأكلتها الحروب ومزقتها الآلة واستفحلت فيها المجاعة والبطالة. إذ أننا نقف على مأزق إشكالي خطير وهو المحلية التي تتجلى كأساس لكل ديمقراطية ترتفع بمقام الأصالة والتراث وتكشف عن الصمود ونحت الكيان الهووي. وقد حاول بعض المفكرين من ذلك الذي دعا للحوار الثقافي و إعطائه الأولوية على المجال الاقتصادي. وإن كنا لا نميل إلى هذه المراتب التفاضلية بين الثقافي والإقتصادي لأنهما متداخلان في مجال حياتنا. فالبحث عن السوق لترويج البضائع لا يتم بمعزل عن تدمير الثقافات "المستضعفة"⁴ (برهان غليون: 1985).

إننا نحصر على ترسيخ الديمقراطية لمواطنينا وذلك من خلال تفعيل دورنا خارج حدودنا الوطنية والإقليمية. حيث علينا أن نذكر بالأقليات المعزولة عن هويتهم الأصلية بموجب تواجدهم في المهجر أو

Habermas Jürgen (2000), *Après l'Etat-nation* ; Trad.³ Rainer Rochlitz Paris, Fayard ; 2000p63-67

⁴ برهان غليون: اغتيال العقل، دار التنوير بيروت، 1985، ص343.

المخيمات وهم مغتربين عن المجتمعات التي يعيشون فيها وغرباء عن الأوطان . ولعلّ من المشاكل التي نريد أن نختبرها في هذا البحث هي كالاتي :هل تظل الديمقراطية في عالمنا قاسما مشتركا بين كافة المواطنين ، أم أن الشروط التي تسمح بملافاة بعضنا محرومة باعتبار أن هناك هوة حقيقية بين من يمتلك عنف فكري ،ينادي بالتهميش والاستبعاد وبين من يقر بإيتيقا-حوار كشرط للتعايش المشترك وتحقيق مقومات الحياة والرفاهية ؟ ونحن ضمن هذا التساؤل نراهن على الاختلاف والتنوع باعتبارهما سمتين لتأصيل الديمقراطية ضمن وحدة إقليمية مشتركة ومنفتحة على بقية دول الجوار صونا لمعقولة تواصلية .إن هذه القيم الجديدة ترسخ مبدأ التفاهم وقبول الآخر لأنه عين ماهيتي المقابلة التي توهني وتقديني . يقول ريكور في هذا المستوى أنّ "احترام الآخر ليس من طبيعة مختلفة عن الاحترام الذي أبديه نحو الآخر لأن الإنسانية هي ما أحترمها في الآخر وفي ذاتي " (بول ريكور: 2006)⁵

لقد أردنا أن نكشف انطلاقا من هذه الإشكاليات عن منزلة "المسار الديمقراطي" وتأثر الخطاب السياسي الذي فتح لنا إمكانيات جديدة لتحديد حلول ممكنة باعتبار أن الديمقراطية ليست ملكا لأحد ،خصوصا إذا ما حاولنا أن ننظر إليها من جهة إشكالية نعتقد أنها الأصعب في تسليط الأضواء على متابعة معانيها ألا وهي الأمن القومي الذي يضمن سلامة العيش المشترك وهو ما يوفر المسار الديمقراطي . إنّ وعينا بكل هذه القضايا العالقة نكون قد قطعنا شوطا أساسيا في "فهمنا لأنفسنا" وهي ما سمحت لنا بتفعيل جملة من المعاني التي تجدد حضورها في الفضاء السياسي و الإيتيقي عامة مفاهيم كونية مثل المساواة، الحرية، العدالة، الكونية، العالمية، الإنسانية .

التصور الديمقراطية على أساس نظرية المناقشة

إن تصور الديمقراطية على أساس نظرية المناقشة يحدد شروط مشروعية السياسة الديمقراطية قصد تفعيل الفكر النقدي وتعميق السؤال حول مسارنا السياسي. وهذا الأمر سيظل مشروطا بمراجعة منطوق فهمنا لعلاقتنا الجيو سياسية في إطار الحركات الاجتماعية والمدنية النشيطة التي تفضي إلى مزيد تفعيل الإنتاج الاقتصادي و تناميّه . حيث أصبحنا اليوم في ظل الحوافز الجديدة نؤكد على نشاط المعايير و القيم .

⁵بول ريكور ،الإنسان الخطاء،ترجمة عدنان نجيب الدين،المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء،2006،ص.290

إذا ما كنا اليوم نبحث عن مصادر ديمقراطيتنا الناشئة في ظل التحولات التي أَلقت بظلالها على عالمنا العربي فثمة من يرى سبل تجاوز الأزمة يكون ضمن المسلمة التالية : نأخذ من الغرب غثه و سمينه بحجّة أن " العقل: يوناني و الحضارة : متوسطة أوروبية، و الطريق إلى النهضة واحد لا تعدد فيها، هي أن نسير سيرة أوروبا في " الحكم" و " الإدارة" و " التشريع" (مُجَّد مصباح: 1997)⁶

إنّنا نؤكد على أهمية التحرر من كل سلطة تريد أن تحدّ من قدرة الشعوب على خلق مصيرهم .وأنّ الحراك في تونس مثلاً تمثّل في احتجاج عفوي نظراً لانسداد أفق التعايش وفتح باب الحوار بين الراعي والرعيّة .ولعلّ اليوم أصبحنا في حاجة ملحة إلى العلاقة الأفقية بين المواطن والدولة في ظل نظام ديمقراطي وهو ما يفضي إلى التساؤل التالي :ما هي علاقة المواطن بالدولة في ظل التحوّلات والرهانات السياسية الجديدة ؟

إنّ تقصّي هذا التساؤل يتطلب وجوباً تحديد دلالة الديمقراطية التي تعني في مقاصدها العامة : أنّ الشعب له سيادة وهو يحكم نفسه بنفسه . وهذا التحديد لا يعني أنّ الشعب يفعل ما يريد وفق الهوى أو العواطف . تظلّ شرعيته مرتبطة بقانون مدني يحمي حرياته العامة و الخاصة . و في إطار هذا التفاعل المشترك بين إرادة حاكمة تقدر عمق إنسانية شعوبها حيث يدرك الحاكم في ظل النظام الديمقراطي أنّه مواطن قبل أن يكون صاحب نفوذ. والفرد من جهته يدرك أنّه يمثل إرادة فردية ساهمت في تحقيق العيش المشترك للصالح العام دون الدخول في مبدأ المصلحة وحيياة التملك . تعتبر الدولة صمام أمان لأنّها التي تقدم إضفاء العلم على البراكسيس السياسي بأوسع مدى " هابرماس (بورغن)، العلم والتقنية كايدولوجيا: 2003⁷

إنّ الواقع الافتراضي لدى جملة من منظري الفكر السياسي إلا أنّها تعدّ تقنيات عمل وأسباب عميقة لترسيخ مبدأ الديمقراطية الذي يعدنا بمصالحة قارية بين دولنا في المغرب الكبير وتمثّل تونس والجزائر نموذجين رائعين نظراً للنضال المشترك اللذان قاده ضد المستعمر الفرنسي . وكذلك طبيعة القيم المشتركة وما تحويه من موروث ثقافي وطبيعة الشعوب التي يحكمها المصير المشترك . كل هذه العوامل تحفّز نمط جديد للتواصل القاري .

⁶ محمد مصباح، فكر الإمام المتنور، مجلة العربي العدد 404 سبتمبر 1997 ص 36

⁷ هابرماس (بورغن)، العلم والتقنية كايدولوجيا، ترجمة ،حسن صقر ، منشورات الجمل ،كلونيا-المانيا ، الطبعة الاولى 2003 ص121.

إنّ الواجب الأخلاقي وتحقيق روح المواطنة من جهة ما يفترضه علينا المبدأ المشترك الذي يسمح برسم جغرافية عقل عربي جديد يخلق مناخ من التشاور. تعدّد فكرة التشاور نابعة من الخطاب النصّي مما يجعلنا ننظر إلى ثقافتنا وتراثنا العربي الإسلامي. وإذا ما أخذنا في الحسبان أن فكرة الديمقراطية ليست شكلا صوريا ولاهي خطابا وافدا عن أرضنا العربية دون حيازة ثقافية أو حضارية. لئن صنفنا الديمقراطية عادة "بوصفها ظاهرة تاريخية، أو ثقافية، أو أنثروبولوجية نوعية، أو عينية نفسية تكشف عن مدى انحسار مساحة الوعي لدينا" فتحي المسكيني: 2001⁸

إنّ الخطاب المعاصر السياسي العربي المعاصر مطالبا بتجديد تقنيات تعامله في ظل تنامي العولمة وانبثاق مقاربات جديدة في الايكولوجي والبيوايثيقا. ولكن علينا أن نفهم أن الجديد لا يعني القطع مع كل ماهو قديم وتقليدي وإتّما الحدث الجديد التي شهدته الثورات العربية الجديدة يتفق مع تغيير نمط العقول وتحوّلاتها في المعاملة والتشاور مع مستجدات الحدث والوقائع الإنسانية الراهنة. وهو ما يسمح لنا بتأويل التمايز بين الاستعمال الخاص والاستعمال العمومي. ونستحضر في إخراج هذا التأويل السؤال الكانطي الشهير "ما هو عصر الأنوار؟ (كانط، ماهو عصر التنوير: 2004-2005) ⁹.

دور الديمقراطية الإقليمية في إحداث توازن سياسي

إذا ما انطلقنا من تجربتين رائدتين ومختلفتين في آن. وأعني الثورة التونسية التي أطاحت بالنظام الديكتاتوري والتأسيس لعصر جديد في رسم ملامح جغرافية ثورية وما أفضت إليه من دستور جديد يعبر عن نمط الحياة المشتركة وهي تعدّد تجربة ناشئة في الديمقراطية تستلهم معانيها من إرادة الشعب. رغم إقرارنا بالصعوبات والأزمة السياسية الخانقة نظرا لتراجع الاقتصاد وفتوره والصراعات الأيديولوجية المختلفة ولكن مهما كان هذا الصراع فإنها تعد ترجمة لديمقراطية خالقة .

أما التجربة الجزائرية فقد اعتمدت المراجعة السياسية لأدائها المحلي وبذلك اعتمدت خط الإصلاح نظرا للمناخ الحاصل بين الإرادة الحاكمة وميل الشعوب لحالة السلم بعد مرورها بالمحن الصعبة في العقدين السابقين وبرزو التيارات السلفية المنتظمة كطاقة عنيفة أدت بالكثير من الضحايا وحالات الرعب بين المواطنين، وهذه التجربة الإصلاحية ترسّخ شكل من الديمقراطية نظرا لتعافي الاقتصاد وتحقيق احتياطي مرتفع في خزانتها المالية. ولكن البلدين يمتلكان عاملا مشتركا وهو الطاقة الشابة والمتقنة مما يجعل مصير

⁸المسكيني(فتحي)، الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة "نحن"، دار الطليعة - بيروت، الطبعة الأولى 2001 (المقدمة الفلسفة ومعاني الهوية). ص. 6.

⁹ كانط، ماهو عصر التنوير، تعريب يوسف الصديق، ورد في المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، كانط والحدائنة، مطبعة تونس، قرطاج، العدد 39/38، سنة 2004-2005، ص. 10-11.

البلدين مؤهل أن يكون متعافيا في كل المجالات. إننا نستطيع أن نعر عن هذا الموقف من خلال التراث الغربي الذي يؤكد على "الشروط العامة المادية والروحية للثقافة الإنسانية جمعاء"¹⁰ Horkheimer.(M):1978

يظل راهنا العربي السياسي مرتبنا بفرضيات عمل نسعى من خلالها لكشف عمق فن المساءلة الفلسفية الكامنة وراء خطاباتها. وذلك من جهة التفكير فيها على نحو أكثر تعيينا لملايساتها والقضايا العالقة في ما لم يقع تفعيله سياسيا، تناسيا أم عنوة بمقتضيات حقوقية و إبتيقية تفعيلها لهذا الذي بات يشار إليه بالراهن وترسيخا للنحن الذي بحوزتنا ،لا من جهة تراثية أو مدنية فحسب وإنما من جهة قاسم إنساني يظل مفتوحا على الوقائع والممكنات. وهو ما تقتضيه "أخلاقيات الحوار" التي تسمح بانجاز قاعدة ديمقراطية للتفاهم انطلاقا من كل المصالح المشتركة التي تواجه بنجاح نقد الآراء المتسرعة Jürgen Habermas:1992"¹¹.

إن المشروع الحضاري الذي يسعى حسن حنفي لتنفيذه لا ينم عن إمكانية تقديم بديل ثقافي في شكل ديمقراطية نقدية لا تسلم بمنطق الثنائيات أورد الفعل. و البرهنة على ذلك تتمثل في التمسك بما يسمى أصالة أو وهوية معطاة التي لا تسمح بفك معضلة التبعية بل يزيد في ترسيخها وتبريرها. وهذا التحليل يؤكد أن فهم خصوصيات الديمقراطيات المحلية وتقنيات العولمة لا يرقى لعمق انتظاراتنا الوطنية والإقليمية التي من شأنها أن تترى تجربتنا الحداثية المعاصرة . وتبريرات حسن حنفي في ذلك متأتية حسب زعمه من المعيار التاريخي "هو فلسفة التاريخ، أي تاريخ الوعي والوعي بالتاريخ، مسار الروح في التاريخ، مسار الحضارة والوعي فيه" حسن حنفي:1991¹²

إن هذا الأمر يجعلنا بصناعة رأي دعوي يسوق مقاربات فلسفية جاهزة ،معتقدين أنّ الحلول الناجعة تكون وافدة ولكنها في الحقيقة تروج إلى خطابات وشعارات فضفاضة . قد نقف، في الحقيقة، أمام واقع إنساني شقي يتيه فيه الشعب عن هويته . ويعترب فيه عن ذاته نظرا لما يزرعه مفكره من مغالاة أحيانا سواء عن طريق أطروحاتهم المثقلة بالايديولوجيا أو عن طريق الفضائيات والبرامج الموجهة. وكل هذه المنابر

¹⁰ Horkheimer.(M) ;*La théorie critique hier et aujourd'hui in Théorie et critique (essais)* traduits de L'allemand par le groupe de traduction du collège de philosophie ;Payot ; Paris ;1978 ;p.67

¹¹ Habermas Jürgen (1992), *De l'éthique de la discussion*. Paris, Cerf. Voir Ferry jean-Marc (1987), *Habermas : l'éthique de la communication*. Paris, PUF, p.89.

¹² حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب الدار الفنية، القاهرة، ط 1، 1991، ص 785.

السياسية التي لا تأخذ في الحسبان الطابع المحلي والحيوي للحركات الاجتماعية والظروف الاقتصادية المعقدة والفكرية التي ازدادت التباسا في إطار تعقيد العولمة.

قد عمق هذا الوضع هوة مضعفة بين من يمتلك التكنولوجيا ويصدرها وبين من يفتننها ولا يفقه صنعها و تديرها. فكل هذه التصورات التحليلية تؤكد أننا يجب أن نتعاون معا على تكوين كتلة اقتصادية متماسكة تراعي المواد المحلية والإقليمية التي بمستطاعنا استغلالها وتطويرها، إضافة إلى الطاقة الحيوية للشباب . و خصوصا أننا لنا خبراء وتقنيون في الخارج يستطيعون تقديم الإضافة . ولعلّ نموذج الإتحاد الأوروبي يعطي الحجة على ذلك . وقد استطاع أنّ يوفر عملة موحدة (الأورو) وسوق اقتصادي يقول هابرماس في ظل حديثه عن الدولة- الأمة في ظل مشروعية الإتحاد الأوروبي " يتعلق الأمر أنّ الدولة الأمة لها القدرة على المراقبة مع تضائل المشروعية التي تضعف مسارات ممارسة القرار *Habermas* 1992:13¹³

إن الالتزام بمبدأ الحوار يؤدي إلى الالتزام بشروط التعايش الديمقراطي الذي تكون فيه نظرية المناقشة فعلا حواريا يهدف إلى تحقيق بعدا كونيا يضمّ جماعة سياسية تسمح بإدماج مواطنين مختلفين الأجناس " *Habermas Jürgen* :2000¹⁴ . إذ تتخذ صيغة الانفتاح خيارا فلسفيا يؤمن لها التواصل داخل صيرورة وحركة جدلية . يعتبر الاختلاف والتنوع سمتين لتأصيل الهوية ضمن وحدة إنسانية ، يقول ريكور في هذا المستوى "احترام الآخر ليس من طبيعة مختلفة عن الاحترام الذي أبدية نحو الآخر لأن الإنسانية هي ما أحترمها في الآخر وفي ذاتي "بول ريكور:2006¹⁵ .

منزلة الفلسفة في تفعيل الديمقراطية في الخطاب العربي السياسي الراهن

تكشف الفلسفة عن نمط جديد للتفكير يعمل على إنجاز قاعدة للتفاهم انطلاقا من كل المصالح المشتركة التي تواجهه بنجاح نقد الآراء المتسرعة " *Habermas Jürgen* :1992¹⁶ . ولكن نسعى في مقابل ذلك جعل التفاعل البيّنذاتي يتسع للمعنى الإنساني ، وفق مقاصد فكرية تراجع كل مسارات تاريخ الفكر العربي من منطلق إعادة البناء . تهتم الفلسفة بمواصلة إعادة بناء تراثنا ضمن نظرية فلسفية نقدية تتأسس على " ترسيخ قيم الحرية والعدالة" *JürgenHabermas et John*

¹³) Ibid. p.31 1.

¹⁴ Habermas Jürgen (2000), *Après l'Etat-nation* . op .cit.p66

¹⁵ (بول ريكور ،الإنسان الخطاء،ترجمة عدنان نجيب الدين،المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء ،2006،ص.290.

¹⁶ *Habermas Jürgen* (1992), Voir *Ferry jean-Marc* (1987), *Habermas : l'éthique de la communication*. Ibid. op .cit.p.89.

Rawls:2005¹⁷ ، من جهة فعل أخلاقي وحقوقى تكون ضامنة لمعايير الفعل التواصلي الديمقراطي

هذه المقاربة الفلسفية التي تنم عن عمق فلسفي يجد صلابته الفكرية من جهة تفعيل العقل التواصلي من حيث هو المدار الأساسي الذي يعيد بناء السؤال الفلسفي ومقتضى الإيتيقي: ونحن في هذه الوضعية القصوى نجد أنفسنا نفكر مع هذا الأفق الحيوي لفلسفة عربية معاصرة تراهن على رؤية حقوقية تستمد وجاهة خطابها من الفهم الذي يسمح بترجمة الراهن في طابع مدني يثري مواقفنا السياسية الناشئة . نحصر فيه على تشريع ديمقراطية عربية ترتقي بالسلوك الإنساني لنمط جديد على قواعد العقل السليم . تتوافق مع شروط منصفة يتم التفاوض فيها وتحقيق انتماء مباشر إلى جماعة المواطنة العالمية الحرة و المتساوية .

إذا ما ربطنا الراهن بمشكل تحرر الشعوب. نلاحظ أن الفكر الغربي يتمظهر على الدوام في صورة الضحية ويردها لعقد تجد حضورها في " المنافسات الشخصية والمؤسساتية الاقتصادية والخدمات البنكية التي وجدت متنفسا في الأزمات المتواترة في عالمنا المعاصر وتراجع العملات وإفلاس الشركات ، وخاصة المنافع الاقتصادية التي يسعون إلى تحقيقها حتى لو تعلق الأمر بإحداث أزمة سياسية في الدولة وإشغال فتيل النعرة الدينية والطائفية لإزالة المنافسين و"الاستيلاء على ممتلكاتهم." (Ian Kershaw 1997)¹⁸ . إن الأمر لم يعد يطرح مشكل كيف نتحاور ولكن الأحرى بنا أن نتساءل عن ماذا نتحاور؟ وما هي المشكلات التي تعنى بالحوار اليوم؟

إن هذا الطرح يتجاوز الحلول الوافدة من الآخر كبديل لديمقراطيتنا العربية. يظل الخطاب الديمقراطي متصلا بسؤال " من نحن؟" من حيث هي إحدائية مركزية في تصور ما بعد الحداثة ينطوي على رجة في منطق الهويات البديلة التي تبعث فينا الاستفاقة، و بذلك تخرج ضمير (هم) الذي يمثل الإرث الذي ما فتئ يتكرر باستمرار في حياتنا الفكرية و الفلسفية دونما مراجعة و تصحيح فتجاوز. إن الفكر "صار إقليميا يهتم بقضايا محددة داخل حقل معين"، مجلة العربي: 1955¹⁹ . لعل الأمر يكون أكثر انفرجا إذا ما استشرنا الرؤية المنفتحة لقراءة إرثنا بتطعيمه بمستجدات حداثة الغرب مع الحفاظ على

¹⁷JürgenHabermas et John Rawls, *Débat sur la Justice Politique*, Traduit de L'américain (avec le Catherine Audard), Paris, 2005, p.8.

¹⁸ Ian Kershaw, *Qu'est-ce que le nazisme ? Problèmes et perspectives d'interprétation*, traduit de l'anglais par Jacqueline Carnaud, nouvelle édition augmentée et mise à jour, Gallimard, 1997, p. 180.

¹⁹ أنظر الحوار الذي دار بين لوي التسيرو أحمد الشيخ، مجلة العربي، عدد 319 يونيو 1955، ص 114.

مقومات هويتنا و التي يمكن صياغتها على النحو التالي: ما علاقتنا نحن (كعرب و مسلمين) بتاريخ لم نشارك في صيغته و حدثاته لم نساهم في بلورتها؟ لماذا نستعرض تاريخ النظريات الأوروبية بدلا من أن نختتم بأنفسنا و تراثنا؟ الناصر عبد اللاوي: 2008²⁰.

إذا ما وضعنا الحداثة الأوروبية وراء ظهورنا، فإلى أي حد نستطيع الاعتماد على عناصر التراث الموروث بمختلف مكوناته الفقهية و الكلامية و الفلسفية أو حتى السياسية لصياغة فكر فلسفي إسلامي يهتم بالشأن الديمقراطي يقوم على تناسق بين الدين و العلم أو بين العقل و النقل؟ هل تملك الثقافة العربية الإسلامية من الاكتفاء الذاتي ما يجعلها في غنى عن أي اقتباس أو تطعيم، أو تأثير، لتحقيق ما يصبو إليه مجتمعنا من زيادة فعلية؟

هذا الطرح و إن ترجم الأفق النظري للديمقراطية (منظورا إليها كشورى) الذي يتحرك فيه الفكر الإصلاحى غير أنه بقي سجين دلالة الشورى الفقهية و الكلامية الذي يقر بمبدأ المصلحة في الخطاب الدينى كخطاب يطور نفسه بمناهج غيره، تطعيما و إثراء، لكنه يبقى داخل حصونه دون مجازفة. ولكن قد تسمح لنا تجربة الإتحاد الأوروبي من خلال منظرها هابرماس من تحديد " مبدأ الديمقراطية يتسم بإجراء خطابي عقلاني من طرف جميع المشاركين لإعداد القانون" (Habermas) :
1997²¹

ولكن مهما كان هذا التجاذب في جغرافية العقل في الوطن العربي يظل حسب فتحي التريكي يتساءل "عن الإمكانية المفتوحة بين السلطة و الأفراد داخل الخطاب اليومي و ذلك استعداد لـ " بناء مشروعيتها التي تضمن له البقاء و النجاة" فتحي التريكي، رشيدة التريكي: 1992²²
إنّ تحفيز الحوار و التواصل في بناء الفكر الديمقراطي يسمح بأخلاقيات جديدة تكشف عن نمط الديمقراطية البديلة التي تتجاوز كل أشكال الأنظمة الكليانية. وهي تنتصر لمقاصد الحريات الخاصة و العامة، ما يسمح لنا بتكوين إستراتيجية في الفكر السياسي عن طريقة تبادل الخبرات بين شعوبنا العربية قصد إثراء المشهد المؤسسي. وخلق تفاعل بين المخابر و المؤسسات العربية و لاسيما تونس و الجزائر نظرا للتقارب الجيوسياسي و الثقافة الجامعة لكل أنماط الحياة المعنوية و العملية. و التأكيد على روح المواطنة التي ترنو للمصلحة العامة و تحقيق جمالية العيش السوي من أجل مستقبل أكثر ثراء لإنسانيتنا.

²⁰الناصر عبد اللاوي، قراءة في الهويات البديلة، العيش سويا، قراءات في فكر فتحي التريكي، أوراق فلسفية، القاهرة، 2008

²¹Habermas, (j), *l'espace public et démocratie* (entre faits et normes) ; Trad. ; delallem ; Rochlitz ; Paris ; Gallimard. 1997.p.154.

²²فتحي التريكي، رشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي ببيروت 1992 ص59

لقد نتفهم مبدئياً أزمات الخطاب الديمقراطي في ظل هيمنة راهنا السياسي وسبل تجاوزها وتفعيل الدور الإقليمي لضمان وحدة الشعوب والمصير. وكل هذه المقاصد العامة تيسر لنا بناء ديمقراطية بديلة في مغربنا العربي خاصة. وهي تدفعنا قدماً لحل الرهانات الكبرى التي من شأنها أن تدعم التحولات الديمقراطية الناشئة والتأكيد على ثورة العقول. كما أنه علينا أن ندرك "أن هذا الإجراء المنهجي يكتسي صعوبة وتعقيد في مستوى إعادة تشكيل الراهن الذي يقتضي منا أن يكون البحث الذي نتقصاه معاصراً لنا حيث يحتزل أفقاً نظرياً وعملياً يرصد اهتماماتنا ومشاغلتنا الآنية بالديمقراطية (الناصر عبداللاوي: 2013)²³.

المصادر والمراجع

- برهان غلبون: اغتيال العقل، دار التنوير بيروت، 1985، ص 343.
- حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب الدار الفنية، القاهرة، ط 1، 1991.
- هابرماس (يورغن)، العلم والتقنية كايديولوجيا"، ترجمة، حسن صقر، منشورات الجمل، كلونيا-المانيا، الطبعة الأولى 2003.
- فتحي التريكي، رشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي ببيروت 1992 ص 59.
- المسكيني (فتحي)، الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن"، دار الطليعة - بيروت، الطبعة الأولى 2001 (المقدمة الفلسفة ومعاني الهوية).
- بول ريكور، الإنسان الخطاء، ترجمة عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، 2006.
- الناصر عبداللاوي الهوية والتواصلية، دار الفارابي - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2012.
-، التواصل والحوار: أخلاقيات النقاش في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الفارابي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2013.
- الناصر عبد اللاوي، قراءة في الهويات البديلة، العيش سوياً، قراءات في فكر فتحي التريكي، أوراق فلسفية، القاهرة، 2008
- لوي التسيرو أحمد الشيخ، مجلة العربي، عدد 319 يونيو 1955.

الناصر عبداللاوي، التواصل والحوار: أخلاقيات النقاش في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الفارابي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2013.²³

- كانظ، ماهو عصر التنوير، تعريب يوسف الصديق، ورد في المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، كانظ والحدائة، مطبعة تونس، قرطاج، العدد 39/38، سنة 2004 - 2005.
- مُجَّد مصباح، فكر، الإمام المتنور، مجلة العربي العدد 404 سبتمبر 1997
- Horkheimer.(M) ; *La théorie critique hier et aujourd'hui in Théorie et critique* (essais) traduits de L'allemand par le groupe de traduction du collège de philosophie ; Payot ; Paris ; 1978
- Ferry jean-Marc (1987), *Habermas : l'éthique de la communication*. Paris, PUF.
- Habermas Jürgen (1992), *De l'éthique de la discussion*. Paris, Cerf.
-, **l'espace public et démocratie** (entre faits et normes) ; Trad. ; delallem ; Rochlitz ; Paris ; Gallimard. 1997.
-(2000), **Après l'Etat-nation** ; Trad.¹ Rainer Rochlitz Paris, Fayard .
-, Jürgen Habermas et John Rawls , *Débat sur la Justice Politique*, Traduit de L'américain (avec le Catherine Audard), Paris, 2005
- Ian Kershaw, *Qu'est-ce que le nazisme ? Problèmes et perspectives d'interprétation*, traduit de l'anglais par Jacqueline Carnaud, nouvelle édition augmentée et mise à jour, Gallimard, 1997.